مراجعة كتاب

«الصلاة رغم الحراب»

لمؤلفه: المرحوم «الشيخ عبد العظيم سلهب»

تاريخ النشر: ٢٠٢٥/١٢/٢٠م (العدد (٢٩)، شتاء ٢٠٢٦م)

وصفي محمد كيلاني

عضو مجلس أوقاف القدس الشريف

المدير التنفيذي للصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة – عّمان

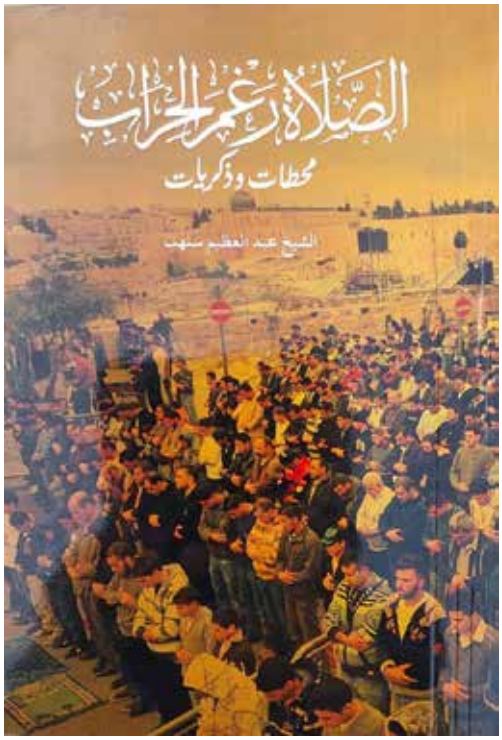

«الصلاة رغم الحراب: محطات وذكريات» من أثرى ما قرأت من مذكرات مقدسية شخصية حية توثق لما مر به المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف وأوقاف القدس الشريف والمقدسيون خصوصا بعد احتلال القدس الشريف وباقي فلسطين عام ١٩٦٧م، حين بدأ مؤلف الكتاب الشيخ عبد العظيم سلهب عمله في المحاكم الشرعية التابعة لقاضي القضاة الأردني في الخليل عام ١٩٦٨م.

تأتي أهمية هذه المذكرات كونها توثيق حي ومستمر لتجربة حياة وعمل الشيخ سلهب كقاضٍ شرعي وعالم عامل ترأس محكمة الاستئناف الشرعية وتقلد منصب القائم بأعمال قاضي القضاة في محاكم القدس الشرعية ١٩٩٧-٢٠١٦م، واستمر في رئاسة يرأس مجلس أوقاف القدس منذ عام ١٩٩٣م وحتى وفاته في تشرين ثاني ٢٠٢٥م. وشغل الفقيد الراحل ايضا من ضمن ما شغل عضوية مجلس الأمناء المؤسس لجامعة القدس، وأصدر عددا من الكتابات منها: رسالة الوقف في القدس ودور الأوقاف في الحفاظ على المسجد الأقصى، ومجلس الأوقاف في القدس محطة وذكريات، كما وحقق العديد من الرسائل لحفظ تراث بيت المقدس المخطوط.

يصف كتاب «الصلاة رغم الحراب» حال المسجد الأقصى في أجمل وأحلك المحطات التي مر بها من حيث:

١. تطور مؤسسة الوقف منذ زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعبر العصور الإسلامية حتى وصلت مهمات الحفاظ على الوقف وأهمها المسجد الأقصى المبارك إلى المجلس الإسلامي الأعلى مطلع عام ١٩٢٠م ومن ثم إلى مجلس أوقاف القدس وإدارة أوقاف القدس الشريف بعد عام ١٩٤٨م وما رافقهما من مؤسسات مقدسية

تشكلت للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للقدس والمقدسات.

٢. انتهاكات وجرائم الاحتلال الصهيوني بحق المسجد الأقصى المبارك على اختلاف مستويات التطرف والاقتحامات اليومية وإحراق المنبر والمسجد القبلي ١٩٦٩م وهدم معالم تاريخية هامة في محيط المسجد مثل حي المغاربة ١٩٦٧م والزاوية الفخرية والقصور الأموية ومحاولات تفجير الصخرة المشرفة عام ١٩٨٢م واغتصاب بعض أجزاء من المسجد مثل المدرسة التنكزية ورباط الكرد وحوادث تحطيم شبابيك وأبواب وحرق سجاد الأقصى إضافة لمحاولات المحاكم الإسرائيلية دعم هذه الانتهاكات واعطاءها غطاءً قانونياً وتشريعياً في محاولة لطمس صفة «جرائم الاحتلال» عن هذه الانتهاكات.

٣. ويوثق الكتاب ما رافق هذه الجرائم من مشاهد تاريخية تخللها مجازر سقط فيها عشرات الجرحى والشهداء المقدسيين دفاعا عن الأقصى المبارك مثل مجزرة الأقصى ١٩٩٠م ومجزرة فتح النفق الغربي ١٩٩٦م، كما تخلل هذه المحطات استهداف قوانين الاحتلال المنهجة لشرعنة تغيير الوضع الديني والتاريخي والقانوني القائم المستمرة منذ عام ١٩٦٧م وحتى تاريخ إعادة نشر هذا الكتاب. فيسجل الكتاب ملحمة مقدسية في بذل المال والنفس في معركة مقاومة محاولات المتطرفين اليهود وجيش الاحتلال للسيطرة على المسجد الأقصى المبارك.

٤. ويوثق الكتاب استمرار الإعمار المادي والحجري لمباني المسجد الأقصى المبارك من حيث الحراسة والصيانة والرعاية والمحافظة على المفاتيح والمصليات والمنابر والمحاريب والقباب والمآذن والبوائك والأبواب والمدارس والزوايا والمقابر وآبار المياه والخلوات فوق الأرض

وتحت الأرض في عمل مشرف ومواجهة تكاد تكون الأشرس مع المحتل في فلسطين منذ احتلال القدس الشريف عام ١٩٦٧م. ويشرح الكتاب محطات رائعة لتصميم أهل القدس والأوقاف الإسلامية وإصرارهم على رفض كل محاولات طمس معالم الأقصى المبارك أو تغيير هويته متسلحين بإيمانهم بنصر الله لهم ومستندين بعد الله على عون كل مخلص للمقدسات في فلسطين وخارجها.

٥. يظهر الكاتب أن أهل القدس لم يتوانوا عن مناشدة المسلمين وأحرار العالم لإنقاذ الأقصى ولم يترددوا بعد عام ١٩٦٧ بتجديد العقد الديني والقانوني بينهم وبين صاحب الوصاية الهاشمية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف ممثلة بمؤسسات تنفيذ الوصاية الهاشمية على الأرض وأهمها أوقاف القدس التابعة لوزارة الأوقاف الأردنية والمحاكم الشرعية التابعة لدائرة قاضي القضاة الأردني ولجنة الإعمار الهاشمي والصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى المبارك...فعلاوة على سرد الكاتب لأهم مشاريع الإعمار الهاشمي مثل تذهيب الصخرة المشرفة وترميم زخارفها ورخامها، يقدم الشيخ سلهب مثالين متميزين على مبادرات الملك عبد الله الثاني ابن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية في إعمار الأقصى المبارك وهما إنشاء أ) وقفية الكرسي المكتمل لدراسة فكر الإمام الغزالي عام ٢٠١٢، وب) وقفية المصطفى لختم القرآن الكريم في المسجد الأقصى المبارك ٢٠٢٢.

٦. ومن أهم ما يوثقه الكتاب هو تسجيل منهج حياة ورباط الطائفة المنصورة وهم بانتظار «حتى يأتيهم أمر الله،» وهو نموذج رباط أهل القدس وفلسطين في المسجد الأقصى المبارك وتشبثهم بأقصاهم

المبارك والصلاة فيه رغم الحراب وتحت الحراب ورغم الخذلان والانقطاع عن امتدادهم واتصالهم بعالمهم الإسلامي «إلا ما رحم ربي» فأخذوا بعقيدة «من صبر ظفر» إيمانا منهم بحديث صاحب الإسراء والمعراج الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم: فقد قال عبد الله بن الإمام أحمد: وجدت بخط أبي، ثم روى بسنده إلى أبي أمامة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله. وهم كذلك»، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» وأخرجه أيضا الطبراني.

- كما يوثق الكتّاب مسيرة تشكل الهيئة الإسلامية العليا في ٢٤ تموز ١٩٦٧ برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح، ومن تعاقب عليها وعلى مجلس الأوقاف وادارته حتى اليوم، مما يشكل مادة مرجعية لأية أبحاث لاحقة عن هذه الهيئات، وبالعودة أيضا إلى أرشيفاتها، والدراسات السابقة عنها

وإنني إذ تشرفت بمراجعة الطبعة الأولى والثانية لكتاب «الصلاة رغم الحراب» وكانت آخر مكالمة استقبلتها من الشيخ عبد العظيم سلهب بتاريخ ٢٠٢٥/١٠/٣٠ تتركز على إعلامه لي بأن «الكتاب جاهز، ونريد أن نرسل لك نسخا منه»، وأن أوقاف القدس ومن خلال مؤسسة باسيا- الجمعية الفلسطينية الأكاديمية لدراسة الشؤون الدولية، قد انتهت من أعمال الطبعة الثانية»، وقدر الله أن أكون رفيقاً ومتعلماً من الشيخ عبد العظيم سلهب ورفاقه المرابطين في بيت المقدس وأكناف الأقصى المبارك منذ عام ٢٠٠٨م حتى توفاه الله عز وجل

عن عمر ناهز ال٧٩عاماً مساء يوم ١٣/١١/٢٠٢٥م وبعد صراع زاد على السنتين مع المرض الذي لم يفت من عضد الشيخ ولم يثنيه عن مواصلة العمل والمتابعة وترأس جلسات مجلس الأوقاف والاتصال شبه اليومي بمدير عام أوقاف القدس وموظفي الأوقاف ورفاق الدرب من أهل القدس وخارجها معبراً في هذه الاتصالات عن حرصه الشديد على أوقاف القدس الممتدة عبر المدينة المقدسة وعن قلقه المستمر لما آل إليه حال المسجد الأقصى من استهدافات وتغيير الوضع القائم وتجاوز الخطوط الحمراء.

وفي نفس الوقت ظل الشيخ عبد العظيم سلهب في كل جلساته واتصالاته يعبر عن اطمئنانه وثقته الكبيرة بالله عز وجل ودور الوصاية الهاشمية وأوقاف القدس والمرابطين في المسجد وصمود المقدسيين في تشكيل حائط صد يحمي الأقصى والأوقاف التابعة له رغم تفاقم وتصعيد حجم الاعتداءات إلى أبعد الحدود.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر بعض المقدسيين العاملين -ولا أذكرهم جميعاً- من الذين حافظ الشيخ عبد العظيم سلهب على علاقة صداقة وأخوة وعمل وتشاور معهم، ومنهم:الشيخ محمدعزام الخطيب التميمي مدير عام أوقاف القدس وشؤون المسجد الأقصى المبارك، وقاضي محكمة الاستئناف يعقوب شبانة، ورئيس قضاء الاستئناف الأسبق في المحكمة الشرعية الدكتور واصف البكري، ورئيس محاكم الاستئناف الحالي الشيخ فتحي منصور، وفضيلة الشيخ محمد حسين مفتي القدس، وفضيلة الشيخ عكرمة صبري رئيس الهيئة الإسلامية العليا، والمرحوم الدكتور مهدي عبد الهادي مدير مؤسسة باسيا التي شكلت بيتا ثانيا للشيخ سلهب آخر عقد ونصف من

الزمن والذي سبق الشيخ سلهب إلى جوار ربه قبل أقل من عام، والمرحوم الأستاذ المربي جميل حمامي مدير ومشرف سابق لمدارس الإيمان، والأستاذ الدكتور مصطفى أبو صوي أستاذ الكرسي المكتمل لدراسة فكر الإمام الغزالي والمحامي، ووزير القدس الأسبق المهندس عدنان الحسيني، ومحامي الأوقاف الأسبق جمال أبو طعمه والمحامي الحالي ماجد غنايم، والدكتور محمد إبراهيم ناصر الدين المدير المالي السابق في أوقاف القدس، والشيخ يوسف أبو سنينة كبير خطباء المسجد الأقصى المبارك، والمهندس مازن سنقرط، والمرحوم المهندس إبراهيم الدقاق مدير المكتب الهندسي للجنة الإعمار داخل المسجد الأقصى عام ١٩٦٧، والسيد فؤاد الدقاق، والمحامي فهد شويكي عضو مجلس أوقاف القدس والسيد علاء سلهب عضو مجلس أوقاف القدس والسيد حاتم عبد القادر وزير القدس الأسبق، والدكتور المؤرخ يوسف النتشة، والدكتور المؤرخ نظمي الجعبة ومحقق المخطوطات الشيخ يوسف الأوزبكي مدير متحف المسجد الأقصى المبارك الحالي، والمهندس محمد نسيبة عضو مجلس الأوقاف، والمهندس يوسف الدجاني مدير شركة الكهرباء الأسبق، وغيرهم كثير من صحبة الرباط والعمل الدؤوب من أجل المقدسات والمدينة المقدسة.

ومن الرعيل الأول ممن سبقوا الشيخ للدار الآخرة، وكما يذكر الشيخ عبد العظيم سلهب في كتابه «الصلاة رغم الحراب»، وصف الشيخ رحلته في خدمة الأوقاف والمحكمة الشرعية امتداداً لرباط ورحلة عمل الشيخ عبد الحميد السائح الذي أسس الهيئة الإسلامية العليا بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧م، والشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس ورئيس محكمتها الشرعية، والشيخ سعيد صبري قاضي القدس وخطيب المسجد الأقصى، والمحامي أنور الخطيب محافظ

القدس، والشيخ حلمي المحتسب، والشيخ عبد القادر عابدين، والشيخ حسن طهبوب والأستاذ المربي مؤسس مدارس القدس العربية بعد الاحتلال حسني الأشهب، ومشرف الإعمار عصام عواد، وغيرهم كثير ممن لا تسع هذه المقدمة لذكرهم ولكل منهم قصة أو قصص عمل وحوار مربط بالحفاظ على القدس ومقدساتها.

وفي العاصمة عمان كان الشيخ عبد العظيم سلهب دائم الذكر لشخصيات ارتبط بهم في رحلة عمله في القدس وعلى رأسهم جلالة الملك الحسين بن طلال رحمه الله وجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم وصاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال كبير مستشاري جلالة الملك للشؤون الدينية والثقافية ورئيس مجلس أمناء الصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى المبارك والذي كتب «تقديم» لكتاب «الصلاة رغم الحراب»، وقاضي القضاة الأسبق الدكتور أحمد هليل، ووزير الأوقاف الأسبق المرحوم الدكتور عبد السلام العبادي، ورئيس لجنة إعمار المسجد الأقصى الأسبق المرحوم المهندس رائف نجم ووزير الأوقاف الأسبق الدكتور عبد الناصر أبو البصل ووزير الأوقاف الحالي معالي الدكتور محمد الخلايلة، والمهندس عبد الله العبادي المدير الأسبق لمديرية المسجد الأقصى المبارك في وزارة الأوقاف.